مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 12 عدد: 1، مارس 2023
ص: 295 - 311 | E ISSN: 2600-6634 ⁄ISSN:2335-1586

نظرية اللغة، بحث في مقاييس العلم بين اللسانيات الكلية والنسبية - محمد الأوراغي أنموذجا-

Theory of Language, research in linguistic science dimensions between the universal grammar and linguistic relativity –Mohamed al auraghi as a modal-

هاجر ماصري [1]* / صالح حوحو [2]
Hadjer masri [1] / saleh houhou [2]
مخبر اللسانيات واللغة العربية
جامعة محمد خيضر ــ بسكرة / الجزائر
Université of Biskra/Alegria
hadjer.masri@univ-biskra.dz[1] / s.houhou@univ-biskra.dz[2]

تاريخ الإرسال 2022/08/02	تاريخ القبول: 2022/10/03	تاريخ النشر: 2023/03/02

ملخص البحث

معلوم أن استحداث النظريات اللسانية رهن الرؤية المفهومية للغة في علاقتها بالبعد الإبستيمولوجي، إذ يتَّخذ اللسانيون من اللغة موضوعا لبناء تصوراتهم التي لا تستقل عن المرجعية النظرية، فكانت اللسانيات النسبية لمحمد الأوراغي مشروعا يسعى لاقتراح نموذج نحوي للغة العربية ظهير للسانيات الكلية، فإذا اختار تشومسكي اعتبار اللغة مرآة تعكس بنيتها بنية العضو الذهني، فإنّ الأوراغي قد ردّ هذا التّصور بعدّ اللغة بنية متشكّلة مرتبطة بالواقع، إذ يتوسلها لفهم العالم الخارجي سعيا لتحقيق الكفاية التفسيرية وهو ما يلزم البحث في ماهية اللغة في النظرية النسبية.

الكلمات المفتاح : لغة، لسانيات نسبية، لسانيات كلية، إبستيمولوجيا.

Abstract :

It is known that developinglinguistictheoriesdepends on the conceptual vision of the language in relation to the epistemological dimension, as linguiststakelanguage as a subject to buildtheir perceptions that are not independent from the theoreticalreference,so the relative linguistics of mohammad al-uraghiwasapr ojectthats ought to propose a grammatical modelfor the arabic language ,if chomsky chooses to considerlanguage as a mirrorwhose structure reflects the structure of the mental organthen al-uraghirefutedthis perception considering dimension of language with a formed structure linked to reality if itinvokesit to understand the external world to achieve explanatorycompetencewhichisrequired to research the essence of language in the relativstictheory.

Keywords: language, relative linguistics, universal grammar, epistemology.

* هاجر ماصري Hadjer.masri@univ-biskra.dz

أولا: مقدمة

ممّا لا شك فيه أنّ النظرية اللغوية النسبية قد واجهت تحديا أكبر خلّف على إثرها تأثيرا واسعا إن على مستوى التصور اللغويّ، أو الفلسفيّ، أو النفسيّ، أو الاجتماعيّ، إذ تؤمن هذه النظرية بأن «مستخدمي أنظمة نحوية واضحة الاختلاف تقودهم نحو أنماط مختلفة من الملاحظة، وتقويم الأحداث الخارجية المماثلة، وعدم المساواة في الملاحظة، بل والوصول إلى رؤى مختلفة للعالم»[1]، من هذا المنطلق كان لزاما الوقوف عند حدود تصوّر اللسانيات الكلية لماهية اللغة، في سجال مع نظرية اللسانيات النسبية، لمحاولة بناء صرح نظريّ يسعى إلى وصف علمي دقيق لهذا الموجود "اللغة"؛ فالتفكير في استحداث النظرية اللسانية كان ولا زال الهمّ الشاغل للسانيّ، أيا كان غربيا أو عربيا.

وأورد البواعث على عمل من هذا القبيل ثبوت أن ما بأيدي اللغويين من نماذج نحوية ونظريات لسانية قديمة، أو جديدة، لا يسعف الباحثين المتخصصين في دراسة اللغات على تطوير معرفة الناس بلغاتهم، ولا يصحّ بطبيعة الحال التفكير ببناء نظرية لسانية، إلا إذا قام الدليل على أن علم اللغة في أزمة فكرية لا يتجاوزها بغير إقامة نظرية لسانية جديدة من شأنها أن تحتفظ بصواب ما في النظريات السابقة وتصوب أخطاءها، بحيث تُحدث هذه الأخيرة نقلة علمية في ميدان اللسانيات، وطفرة معرفية بالموضوعات العربية المعرفية[2]، فلكي تشكّل نظرية جديدة كشفا، أو خطوة إلى الأمام، ينبغي أن تدخل في صراع مع النظرية التي تسبقها؛ ومعنى هذا أنها يجب على أبسط الفروض أن تؤدي إلى بعض النتائج المتعارضة، وهو ما يعني من المنظور المنطقي أنها يجب أن تناقض سابقتها، وبهذا المعنى نجد التقدم في العلم دائما ثوريا.

إن النسق الرمزي الذي تصطبغ به نظرية اللسانيات الكلية يجعلها قابلة منطقيا للرفض المطلق لمبدأ الوجود الحقيقي للغة، حيث يُحرّض هذا النظر النظرية اللسانية المستحدثة على اعتناق أنموذج استبدالي، أي على تبني مبدأ مناقض لهذا الأخير يفيد بأنّ اللغة لها وجود حقيقي، ليكون موضوع الوصف واقعيا، في حين أن لغويي مدرسة تشومسكي العقلية يرون بأنّ نظرية اللغة الطبيعية إنمّا هي نظرية في الملكات والقدرات الذهنية لمستعمليها، وعليه فإن المنوط بهذه النظرية هو أن تصل إلى الجوانب الأعمق لهذه الملكات والقدرات من خلال طرح فروض علمية، تنتج معرفة نظرية تُغلِّب اليقين الرياضيّ على التفكير العلميّ.

وبالتالي؛ فإن النظرية البديل الممثلة في نظرية اللسانيات النسبية مطالبة بأن تكون قادرة على تفسير سائر ما نجحت سابقتها في تفسيره، إذ لزام عليها أن تفضي إلى نتائج على الأقل في القوة نفسها التي كانت لنتائج سابقتها، وإلى نتائج أفضل إذا أمكن[3]، وإذا كان محور النظر فيها قضية اللغة فالبحث في أصل تشكُّلها وفيما تفرزه من ثنائيات القول والكلام، يمثّل محور البحث اللساني العام الذي ينبغي مقاربته سعيا لتطوير مسار الدراسات اللسانية العربية الحديثة، والارتقاء بها إلى مصاف العالمية.

-أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تحقيق النظر في قضية التطلع لبناء نظرية لسانية عربية تختلف في شروطها الابستمولوجية عن كل المشاريع التي شهدتها الثقافة العربية منذ مطلع هذا القرن، حيث يسعى الأوراغي إلى دراسة اللغة انطلاقا من واقع اللغة العربية في علاقتها بأصولها الثقافية، ففحص الخصائص النمطية التي تميّز اللغة العربية، كلغة واقعية، يجعل من الدراسة قادرة على إيجاد حلول منطقية لجملة من الإشكالات التي تعترض تطور اللغة العربية، وهو ما لا يتأتّى إلا بفهم مقولات الأوائل واستحضار التراث كمنطلق للتجديد، فمن بناء تصور لماهية اللغة، إلى بناء نموذج نحوي وظيفي لمستعملي اللغة.

-أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى بيان أسس التنظير اللساني الذي ينطلق في بناء النظرية من تصوره للغة، فالموقف من اللغة مبدئيا، هو المحدّد لباقي عملية البناء والتأسيس، وهو ما ينبغي الكشف عنه في أحد الاتجاهات اللسانية، ممثَّلا في اللسانيات الكلية التي تفرض نحوا كليا مشمولة به اللغات أجمع، ليكون نحوا عالميا لا تشذُّ عنه أية لغة، وهذا المساق محكوم بمرجعية "اللغة عضو ذهني" مشترك بين البشر، وبالنظر إلى البحث اللساني العربي نجد من اللسانيين من استحدث منهجا جديدا في النظر إلى اللغة، لا ينفك هو الآخر عن المرجعية التراثية التي تؤسّس له، وعلى يد اللساني المغربي محمد الأوراغي كان الاتجاه النسبي منهجا لدراسة اللغة العربية، والذي يرى خصوصيةً للغات تفرض معالجة كل نمط وفقا لما يميّزه.

-إشكالية الدراسة:

تعدّ اللسانيات النسبية من أحدث الاتجاهات اللسانية العربية التي سعت للمقارنة بين اللغات، ضمن إطار محكوم باللغات المنتمية إلى نمط لغوي واحد، وما يميز هذا الاتجاه عن الاتجاه الكلي، استناده على المعطيات اللغوية الواقعية، لا الانطلاق من مواضعات وفرضيات اعتباطية لا تقترن محتوياتها بواقع ما، ومن هنا تتأتى إشكالية الدراسة ممثلة في الأسئلة الآتية:

- ما حدود الاتصال والانفصال في نظرة اللسانيين للغة، بين ما تفرضه المرجعية الفلسفية وما وصلت إليه العقلية العلمية من نتائج، وما مدى تواؤم هذا الطرح مع بناء الأنموذج (البراديغم) النحوي الملائم للغة؟
- ما مكونات الخطاب اللسانيّ الكليّ، وبما تردّ اللسانيات النسبية عن مقدمات هذا الطرح؟
- وكيف استثمر الأوراغي مفاهيم المفكرين العرب لتأسيس النظرية اللسانية العربية؟

-منهج الدراسة:

اتّخذ البحث منهجا وصفيا، تحليليا مقارنا، يتقوّم على رصد مقدّمات النظرية اللسانية الغربية لرائدها نعوم تشومسكي، في مقابل طروحات النظرية اللسانية النسبية في الثقافة العربية المعاصرة، وذلك بتوسيل اللغة موضوعا للبحث.

ثانيا: اللسانيات الكلية بين النظرية والهوية المعرفية

إذا سلّمنا منطلقا أن للسانيات أصولا فلسفية فلا بد من القول باختلافها عن علوم اللغة قديما، وما ذلك إلا لأن الفلسفة شأنها شأن مباحث العلوم الإنسانية، قد شهدت تطورات انتقلت على إثرها من التجريد والميتافيزيقا والمثاليات، إلى ما يعرف اليوم بالفلسفة الواقعية والوضعية والعقلانية، لذلك فإنه «ما لم نربط بين أسس المعرفة اللغوية، ومقومات العلوم السائدة الأخرى، فإنه يتعذّر علينا الإمساك بنسيجها المعرفيّ، كما يتعذّر إدراك خفاياها الأصولية، ومما نعتبره بديهيا أن العلوم تتواكب تاريخيا، وتنشئ فلسفة منهجية متكاملة، وهذا التكامل قد يكون عن طريق التماثل، وقد يكون من باب التقابل»[4]، مثّلت هذه الثورات العلمية الفاصل المحوريّ في النظر إلى اللغة التي باتت محور البحث بآلة الوصف والتفسير العلميّ، إذ اتخذت الحقبة الزمنية الممتدة من 1957م لنفسها مكانا أكثر تأثيرا بظهور الفلسفة اللغوية لصاحبها نعوم تشومسكي الذي أعاد بناء أطاريح من نوع خاص ينبئ بميلاد جديد لتفكير لسانيّ علميّ حديث شكّل منعرجا إبستمولوجيا بما سنَّه من قناعات منهجية ورياضية، استطاع بفضلها مقاربة النظرية اللسانية على نحو جامع لمعارف لغوية وغير لغوية، أملا في فهم الخصائص النوعية لطبيعة المعرفة البشرية وطبيعة الإدراك بعيدا عن إجابات نظرية المعرفة الكلاسيكية.

ولقد شكّل النصف الثاني من القرن العشرين استعدادا لطلب الاسترفاد من علوم متداخلة الاختصاص interdisciplines، ففلسفة العلم الكلاسيكية أعلنت انسحابها جرَّاء نظرتها إلى الظواهر باعتبارها ذرات، أو أجزاء، أو عناصر، وليس بالنظر إليها في كليتها القائمة، أو من منظور كونها نسقا system، أو من منطلق يقرّ بأن وجود التنظيم إنما يتضمن صفات في الكل، ولكنها ليست ظاهرة في كل جزء منه، وفي إطار هذه الفلسفة اقتربت فروع العلم حتى كادت تذوب في وحدة تشملها جميعا، ومن ثم أصبحت وحدة العلم هي المثل الأعلى الإيجابي للروح العلمية المعاصرة[5].

ولقد مثّل الدرس اللساني نقطة اتصال بين التراث الفلسفي والبراديغم العلمي لمنهجية العصر آنذاك، والذي يرمي إلى بناء الفرضيات في مقاطعة مطلقة للوقائع التجريبية، فانفتاح النسق اللساني أفرز العديد من الأنظار التي أعادت طرح الكثير من القضايا اللغوية، وقد نادى تشومسكي بالمنهج العقلي الذهني تبعا لفلسفته العقلية التي مثّلت نتاج تلاقح مشروع مع فلسفة ديكارت في مقابل ما كان مشاعا في تلك الحقبة من ذيوع صيت الإمبريقية التجريبية وهما منهجان قد عهدا كثنائية ممتدة منذ أفلاطون، وأرسطو إلى دافيد هيوم وروني ديكارت، وقد أخذ تشومسكي عن ديكارت «الفكرة المتعلقة بفطرية اللغة Innéisme Linguistique وهو ما يعرف أيضا بالفطرية اللغوية، أي وجود بنيات لغوية تصورية مجردة، جاهزة للاستعمال عند الإنسان؛ فاللغة البشرية عند ديكارت كما عند تشومسكي، صفة ملازمة للجنس البشري، تميّزه عن غيره من الكائنات الأخرى»[6]، فالفرق الجوهريّ بين الإنسان وباقي المخلوقات هو التفكير المجرّد الذي يتولّد من آلة العقل؛ العضو الفاعل في الأساس، والذي تفتقر إليه الكائنات غير الإنسان، فالعقل وحده القادر على تسيير الفعل اللغوي

كونه لا يتيح للإنسان القدرة على التصويت والنطق فحسب، بل يتعدى ذلك إلى وظيفته الدالة، وهي القدرة على التحكم في المسار المفهوميّ لاستعمال تلكم التصويتات بحسب السياقات الواردة.

1. السؤال الأفلاطوني مهد العقيدة الفطرية

اللغة البشرية حدّدت عند تشومسكي بالملكة الفطرية التي تفرض استقلالا مطلقا عن العالم الخارجي، إنها القدرة على الفهم والإنتاج والتوليد والتحويل «فهي توليدية، بمعنى أنها تتيح لنا أن نفهم كيف يكون بالإمكان استخدام وسائل متناهية بصورة غير متناهية، أي إنتاج تعابير سوية وحرة بصورة متواصلة ومتجددة إلى ما لانهاية لهو هي تحويلية، بمعنى أن مبنى النشاط اللغوي هو "الفرق" الحاصل بين نظامين أو مستويين من المعلومات والإجراءات، الأمر الذي يجعل هذا النشاط عبارة عن ترجمة أو تحويل، عبر قواعد وآليات تشتغل بين الملكة والقدرة أو بين الكفاءة والأداء أو بين المعرفة والعمل، أو بين البنى العميقة و البني السطحية، أو بين المبادئ العامة والثابتة وبين الاستعمالات الخاصة والمتغيرة»[7].

إنّ ما دفع تشومسكي إلى هذه الاستدلالات وجود قاعدة فلسفية صلبة يسند إليها مقود الاستئناس إذ لم تكن تلكم المفاهيم من قبيل النسق الوراثي، والكليات النحوية، سوى انعكاسا مشرعنا لنظرية أفلاطون في المثل، فالإنسان في تصور أفلاطون لا يكتسب معارف جديدة وإنما يعيد اكتشاف معارف معطاة قبلا لأن طبيعة المعرفة قبلية حيث تضع المقاربة الأفلاطونية قاعدة التفسير على أساس الفكر لا على أساس بنية العالم كما هي في التقليد الأرسطي، لذا فقدرتنا المعرفية محدّدة بطرق الفهم والإدراك ومعرفتنا الفعلية تابعة لتجارب خاصة تثير جزءا من النظام الثاوي في فكرنا وإذا كانت المعرفة كذلك فهي فطرية[8].

من هنا فإن تشومسكي يعود في تفسيره للواقعة اللغوية إلى أفلاطون بالذات متخذا منه نموذجا لبناء نحوه التوليدي معتبرا أنّ الناطق بلغة من اللغات لا يتعلمها إلا لأنه يمثّل أساسا، ومن غير وعي نظاما إدراكيا يسمح له ببناء جمل صحيحة أو استخدام تعابير حرة لم يسبق له سماعها، وكما أن المعرفة عند أفلاطون هي تذكر لما كانت النفس تعرفه مسبقا في عالم المثل، كذلك شأن اللغة عند تشومسكي فالطفل بعدّه تمثيلا للإنسان لا يتعلّم من الألفاظ والمفردات إلا ما يتوافق مع قائمة التصورات والمفاهيم الموجودة لديه في العقل أو في الدماغ بصورة سابقة على وجود اللغة نفسها.

فمنذ أفلاطون تقرر أن المعرفة موجودة بكيفية قبلية في الذهن البشري بالقوة، وأن الذي تفعله التجربة ليس سوى إيقاظ هذه المعرفة من كمونها[9]، وعليه تكون طبيعة المعرفة المسلّم بها من لدن العقلانيين عامة والديكارتيين خاصة، إنما هي التي تكون مستمدة من الحقائق الثابتة والتي لا تثير أي تناقض أو غير قابلة للتفسير وبما أن اللغة جزء من هذه المحسوسات جعل تشومسكي تمثيلاتها العقلية موضوعا للدراسة ليؤول التمثيل العقلي للموضوع هو نفسه الموضوع القابل للبحث[10].

فكان بذلك على وعي تام بأن الإشكال اللغوي لا يجد مقاربته إلا في كون الإنسان وقدرته على معرفة ما يسمى بالظاهرة العقلية mental phénomène وتحديد ماهيتها من جهة إحداث الفعل الكلامي المرتبط قطعا

بعوامل داخلية تنأى عن أي شيء خارجي عكفت على وصفه المناهج اللسانية السابقة بإيعاز من المذهب الآلي الحتمي، وعليه فإن المعرفة الفطرية التي تهيأت لتشومسكي في الفلسفة الأولى كانت المهاد الذي استلم قضية تفسير الحدث اللغوي في اللغات البشرية لـ «تنفتح نظريته التوليدية على ضربين من القراءة: الأولى تقرأ ماهية اللغة من خلال مقولات الطبيعة والدماغ أو الذاكرة والوراثة أو الآلة والضرورة، أما الثانية فهي تحاول تفسير النشاط اللغوي من خلال مفاهيم العقل والثقافة والحرية أو الإبداع»[11] ، والملاحظ أن اللغة باتت ضمن تصوره خاضعة لجملة من المبادئ الثابتة والكلية، تحرسها مفاهيم خارجة عن نطاقها صيَّرها تشومسكي بقدرته على الاستنتاج المعرفي والصياغة الحديثة المنطقية «كحارس لأفكاره فقد كان هاجسه الدائم الدفاع عن عقيدته الفطرية حول الكليات النحوية الوراثية، معتبرا أن البيئة والتجربة والمهارة، كلها ليست سوى قادح»[12] .

ورغم ما يبدو من تعلقه هذا بفكرة الكلية والفطرية كما جاءت عند الفلاسفة العقلانيين القدماء إلا أنه يسعى إلى صبغ أفكاره بالعلمية المطلقة بما يستعيره من مفاهيم بيولوجية ونتائج نفسية وحقائق كونية.

2. تشومسكي من انفتاح النسق اللساني إلى المتكلم المستمع المثالي

كانت الثورتان الكوبرنيكية والداروينية إيديولوجيتين على قدر ما غيرت كلتاهما من نظرة الإنسان إلى موضعه في الكون، ومن الواضح أنهما كانتا علميتين على قدر ما أطاحت كل منهما بنظرة علمية سائدة، نظرية فلكية سائدة ونظرية بيولوجية سائدة هي الأخرى[13] ، فلم يكن بذلك المشهد العلمي آنذاك خلوا من مفهوم الانقلاب الثوري، إذ يبدو أنّ الثقل الأيديولوجي للنظرية التوليدية التحويلية كان جسيما وذلك لكونه حدث على طرف نقيض من الاعتقاد السائد المبني على الاختبار والتجريب، ليؤسس من بعد ذلك للعقلانية الموضوعية التي غيّرت موضع الإنسان من فاعل للغة إلى ناطق بها، ومن ثم إلى مستوى أعلى في التجريد إلى متكلم مستمع مثالي.

إنّ طبيعة هذا التّصور قد خلقت عديد الأسئلة التي هيّأ لها تشومسكي إجابات تحاول أن تكون مقنعة إلى حد ما، إذ زعم بأن لعلم اللغة القدرة على الإسهام الحقيقي في دراسة طبيعة العقل البشري انطلاقا من اللغة، فعلاقة تشومسكي باللغة انبثقت بالأساس من تصوره لمنتج اللغة، فالإنسان يختلف في تصوره عن ذلك التوصيف الذي حدّدته الفلسفات التجريبية على أنه مجرد آلة ناطقة، فبهذا المعنى تكون اللغة شأنها «شأن الأفعال والقرارات التي تصدر عن الإنسان، والتي يُظن أنها نتيجة الاختبار أو وليدة الإرادة الحرة إنما هي أمور قد تحددت سلفا بأحداث وظواهر أخرى، وإنها جميعا تخضع لقوانين نسبية ومن ثم فإن ما نسميه الحرية أو الاختبار إنما هو وهم وخداع للنفس»[14] ، إذ حوّل تشومسكي مجال البحث الألسني إلى الحدس اللغوي وفق مبدأ تصوري مركزي أسس عليه نظريته اللسانية، إنها الإبداعية التي غيبت مع السلوكية منذ زمن، فالقول بالإبداعية اللغوية créativité linguistique هو تسليم بالإمكانيات والقدرات الخلاقة التي تختزل في ذات، هي ذات المتكلم والتي «تجعله في كل وقت وحين قادر على إنتاج وتأويل مالا حصر له من الجمل اللغوية الجديدة إن كل جملة يصدرها المتكلم أو يفهمها هي بالفعل جملة جديدة لأنه يخلقها في سياق تواصلي جديد.

وعليه فقد تحدد منظور تشومسكي للغة على أنه بحث عن متكلم مستمع مثالي إذ لم يزد رده على الفلسفة التجريبية أن ابتكر مفاهيم تعد شبكة مصطلحية من قبيل الحالة الأولية للملكة اللغوية، والبنية الأصلية، كثوابت تنوب عن مفاهيم الحرية والإدارة فالإنسان وفق المنظور العقلي قد زُوّد بعدة ملكات محددة وهي ما يشكل العقل، وهذا العقل أو تلك القدرات تقوم بدور حاسم في اكتساب المعرفة والقيام بدور مستقل عن أي عامل خارجي في البيئة أي أننا لا نتأثر بهذه البيئة حتما.

فالتوليديون قد آمنوا بالمسألة المعرفية وساقوا الفرضيات تلو الفرضيات التي تقضي بوحدة العقل النظري، إذ أن اللغات الطبيعية على اختلافها الظاهر إلا أنها تخضع لنظام كلي واحد ينتظم في صيرورة ثابتة فإذا كان هذا العقل يعمل بطريقة واحدة في جميع اللغات الطبيعية، فإنه يجب في لازم هذا القول أن يثبت لذلك العقل الحكم ذاته فيما يتعلق باللغات الاصطناعية بحيث ينبغي أن يقال إن العقل البشري في إنتاجه للغات النظرية أي الاصطناعية يشتغل بطريقة واحدة ويوظف نسقا واحدا من المبادئ الكلية في جميع تلك اللغات، ومن ثم جاز التقابل بين النظري والطبيعي، فالملكة اللغوية وجب أن يوازيها في اللغات النظرية الملكة التصويرية والبيئة اللغوية التي تحدد الشكل الذي تتخذه تلك الملكة في لغة من اللغات الخاصة والذي يوازيها في الشطر الآخر من المسألة النموذج العلمي والفلسفي المهيمن.

ثالثا: اللسانيات النسبية وأولوياتها في المنجز اللساني العربي

تقرر سلفا أن الشرعية الأساسية التي تعطى لأي نظرية تسعى لبسط برنامجها تتأتى من فرضية عمل hypothése de travail مغايرة تماما للنظرية المتجاوزة، فتكون بذلك النظرية مؤسسة على موضوع يمكن وصفه على أنه تصور لـ "ماهية اللغة" ولكيفية دراستها، ومن ثم كيفية مقاربتها في أنموذج لغوي يضمن تحقيق المعرفة العلمية، ولقد اشتغل اللسانيون قديما وحديثا على هذه الموضوعة لتنتج عدة نظريات باتت تستدعي الفحص، ومن ثم المقارنة بين مناهج قيامها من جهة ومفاهيمها المؤسسة لها من جهة أخرى واستحدثت طرائق جديدة في البحث اللغوي تستقل بالنظر في طرائق اللغة لتتخذها موضوعا للتأمل والدراسة وهوما اصطلح عليه في نظرية اللسانيات النسبية بـ "العلومية" أو "الابستيمولوجيا" في أدبيات العصر الحديث والتي تتحقق بانتقال النظر من العلم إلى الفلسفة أي فلسفة العلم «إذ صار[الباحث] يطرح أسئلة موجهة إلى الطريقة التي اتبعها وهو يجيب على أسئلته اللغوية، وعلى هذا فإن الباحث في اللغة قد تجده مرة لسانيا صرفا وهو يحلل اللغة ويصوغ معرفته ببنيتها في عبارات مبنية بناءها وتجده مرة أخرى علوميا لسانيا وهو يحلل المفاهيم المؤسسة لنظرية لسانية بأسئلة تنتمي إلى العلومية اللسانية»[15].

ولعل ما دفع اللسانيين ومنهم محمد الأوراغي إلى هذه المنهجية في التنظير ما أفرزته مساطر العلم الحديث من نتائج تستحق الوقوف عندها، إضافة إلى تراكم المعرفة اللغوية الذي شكل إشكالا علميا ومنهجيا دفع بالباحثين في مختلف حقولهم المعرفية إلى استظهار نوعين من الأسئلة «أسئلة حول الموضوع المبحوث مثلا

اللغة بالنسبة إلى دارسها، وأسئلة تتعلق بتحليل المفاهيم المؤسسة، والمنهجية المتبعة والأهداف المرسومة للعلم (اللسانيات) الذي يتولى دراسة ذلك الموضوع، أي اللغة بالنسبة إلى مثالنا».[16]

فالنظرية النسبية ليست بدعا عن باقي النظريات إذ شكل محورها الاستبدالي الممثل في المفاهيم الإجرائية العملية في مقابل نظرية اللسانيات الكلية أساس البحث في النظرية وماهيتها وفحص بنياتها وتحديد درجة انسجام عناصرها وما ذلك إلا لتشكيل نموذج استكشافي ينتمي إلى العلومية اللسانية.

1. مفهوم نظرية اللسانيات النسبية

النسبية في المفهوم اللغوي-بكسر النون وسكون السين-مصدر صناعي بمعنى النسبة أي الصلة والقرابة ونستعمل النسبة في مقدارين متجانسين بعض التجانس يخص كل واحد منها بالآخر ومنه المشاكلة أي المناسبة بين شيئين وتنطلق النسبة في الاصطلاح على الصفة الإضافية التي تختلف بحسب المتعلقات والأمور الخارجية[17].

وفي العرف اللساني ينضم إلى اللسانيات النسبية من أعمال اللغويين تلك النماذج التي تحلل اللغة المعينة في إطار عام يستغرق مجموعة محصورة من اللغات المنحدرة من أصل واحد، أو اللغات المنتمية إلى نمط لغوي واحد، إذ الثابت في الاتجاه النسبي قيام البحث اللساني فيه على تجميع اللغات في أصناف متغايرة استنادا إلى أساسيين، القرابة السلالية والقرابة النمطية[18]، وهذه الأخيرة هي موضوع مشروع الأوراغي إذ يفرض وجود علاقة تقوم بين لغات تنتمي إلى نمط لغوي معين بحيث يكون التشاكل البنيوي أساس تجميع اللغات بغض النظر عن انتماءاتها، إذ اعتمدت ضبط بنائها بتوقع الأنماط اللغوية الممكنة والقواعد النحوية التي تستخرج من واقع اللغات[19]، فهي بذلك نظرية لغوية تؤسسها فرضية مراسية واقعية تفيد أنّ اللغات البشرية ملكات صناعية كسبية[20]، حيث يفترض الأوراغي أن خلايا الملكات الذهنية برنامج طبيعي يقدرها على التشكل بنية ما يحل فيها من خارج ذاتها المبني على وجه كلي لتصبح قادرة على استعماله لاكتساب العلم بغيره[21].

2. من بنية اللغة إلى بنية المعرفة

يميّز كاتز اتجاهين في الدرس اللساني المعاصر الحديث من حيث التحقق العيني للغة؛ يطلق على الأول اتجاه الاسميين Nominalists وعلى الثاني باتجاه التصوريين conseptvalists أما الأول فيقصد بهم لغويي مدرسة بلومفيلد السلوكية وهم الذين يؤمنون بأن الوجود الواقعي الحقيقي ليس إلا وجود العلامات المحسوسة، أي وجود التحقق العيني للغة فهو اتجاه يستمد إطاره من الفلسفة الوضعية التي تجعل المعرفة هي معرفة الظواهر والوقائع العينية التي يمكن اختبارها بالتجربة[22].

ويتصور الأوراغي أن النظرية اللسانية النسبية قد وطدت علاقة اللغة بالواقع إذ تفيد مسلمته أن اللغة البشرية قضية واقعية، أي أنها تحيل على موجودات في العالم الخارجي منتهجة في ذلك المنهج التجريبي بمقولة المنهج المراسي، فاللغة تشبه المرآة في تصور الفلاسفة الغربيين والعرب، غير أن الاختلاف يكمن في وجه الشبه فاللغة بهذا المعنى «تعكس الحقيقة الباطنية لظواهر الكون المادية فبنيتها انعكاس لبنية غيرها، وغيرها

هذا إما نظام الكون و إما بنية الذهن العضوية أو الملكية»[23]، هذا الأخير هو ما يسميه كاتز بمذهب التصوريين ومن يرون أن نظرية اللغة الطبيعية إنما هي نظرية في الملكات والقدرات الذهنية لمستعمليها.

فالخيار العضوي جر التوليديين إلى ركوب التجريد في مقابل التجريب، إذ لجؤوا إلى «بناء أنساق افتراضية استنباطية ونماذج صورية، فلقد أثير حول هذه النتائج الكثير من النقد وحامت حولها بعض الشكوك الأمر الذي سينتهي إلى نعتهم بالميتافيزيقيين أي المثاليين (....) وهو ما أثنى بعضهم عن متابعة الطريق كما حدث لـ steven pinker وكما حدث من قبله لجرولد كاتز J.k الذي ارتد عن العقلانية وتبنى الواقعانية كأساس لتصوراته اللاحقة»[24].

وقد أدرك هؤلاء جميعا أن تفسير النشاط اللغوي بالبنية الماورائية والتركيبة الوراثية ضرب من المقولات المجردة الصورية، فهي شبكة مفاهيمية لا تعنى بوصف الواقع اللغوي وتفسيرها فالإنسان بمجرد أن يفكر ويتخيل أو يرمز ويتكلم يتعدى المجال العضوي الوراثي نحو مجال آخر يجسده النشاط الثقافي والفعل التواصلي والوسط المفهومي، أو الإبداع التخيلي ولو كانت اللغة تحدث كما تتكون الأذرع لكان الناس يتكلمون لغة واحدة تختلف لهجاتها لا أكثر، كما تختلف ذراع الواحد من البشر عن ذراع سواه ولانتفى أساسا فعل الخلق والإبداع أو عمل الفهم والبناء، ولانعدمت القدرة على ممارسة الفعل والتأثير[25].

إنه وللوقوف على الخصائص التي تميز اللغة في علاقتها بما ليس منها كان لزاما الوقوف عند النظر البشري للتفكير الفلسفي واللغوي، فالفلاسفة قد تعاملوا مع اللغة معاملة خاصة أي «بألفاظ لا تدل على الصورة القولية، أو لا تقترن بوجه اللغة الدال بل تتوجه مباشرة إلى المدلول عليه و إلى المعنى المجرد من اللفظ، وهو الدلالة البحتة»[26]، فلا يهم منطقيا كابن سينا مثلا أن يهتم بشكل البنية أو الصورة القولية كما يصفها أهل اللغة لأن سعيه هو إقامة قواعد تعصم الفكر بأي لغة من الوقوع في الخطأ وهو ما يلزمه أن يتناول تلك البنية من جهة الدلالة لا الصورة القولية الخاصة بكل لغة فأي مكون في النسق لا تتعين خصائصه الداخلة في تشكيل ماهيته إلا بتحديد الخصائص المكونة لماهية مقابله وعليه فإن المعرفة العلمية لا تعني شيئا إذا لم ينظر في مقابل كل من «المعرفة الفطرية» و «المعرفة العادية» كما أن النظرية النسبية لا ينكشف بناؤها المنطقي بمعزل عن النظرية الكلية في اللسانيات أولا ثم في غيرها من العلوم الإنسانية والطبيعية[27].

ولارتباط النظرية النسبية بالواقع كانت ذات طبيعة عملية في حين أن الأساس الذي يقف وراء المعرفة النظرية هو مبدأ الصورنة الذي يوسم به منهج اللسانيات الكلية، حيث يتم فيه الفصل مطلقا بين العلم والواقع، تماما كما حدث في الرياضيات التي دشنها رياضيو القرن الثامن عشر حينما سنوا تقليدا حديثا يقوم على التفسير المنطقي والافتراض العقلي بغض النظر عن التحقق العيني للظواهر، فالصيغة الرياضية الرمزية باتت قبلة البحث اللساني وسمة العصر.

وبالنظر إلى اللسانيات كعلم نجد جون دي بوا يعرفه على أنه الدراسة العلمية للغة[28] وذلك لكونه يتقصى بنية اشتغال اللغات الطبيعية والإنسانية، فاللغة بهذا الاعتبار باتت الموضوع المشتغل عليه إذ هي مادة

وموضوع، حيث فرق دي سويسر بين اللغة بوصفها نسقا صوريا ينفلت للملاحظة ويكون موضوع اللسانيات، وبين مجموع الوقائع اللغوية التي تشخص النسق وتشكل مظاهره وتجلياته الخاضعة للملاحظة وهي مادة اللسانيات ومن دراسة هذه المادة يتوصل إلى ذلك النسق[29]، ليتحول بذلك الموضوع "النسق" إلى هدف داخلي منحصر إما في بناء موضوعها المتشكل وصوغه في نسق من المبادئ والقواعد الكلية، و إما في استكشاف موضوع اللسانيات الثابت فإعادة صياغة بنيته في نسق القواعد النمطية التي تعم عددا محصورا من اللغات، وهكذا يوافق الهدف الإنشائي اللسانيات الكلية ويلائم الهدف الاستكشافي اللسانيات النسبية[30]، ومفهوم الكلية بهذا الاعتبار يفرض أن تكون اللغة ذات موضوع متشكل غير خاضع للوجود الفعلي، فحقائق الأشياء لا تتحقق في الأعيان عند أصحاب هذا النظر، كما أن اللغة لا تستقل بذاتها عن النظرية التي يضعها اللساني في حين أن اللسانيات النسبية تفرض للغة وجودا حقيقيا والتعبير عن بنيته في استقلال مطلق عن النظرية بصيغ موازية مطابقة.

وعليه يتعين على اللغة بوصفها نسقا من الرموز أن تشكل منفذا إلى النسق المفهومي وإلى النفس الإنسانية، وبوصفها مؤسسة اجتماعية تتخطى الفردي يجب أن تسهم في تعيين ميزة الأمة، وبما يطرأ عليها من التغيير والتطور وجب أن تفتح الطريق لمعرفة الأسلوب الشخصي ولمعرفة أقدم صروف الأجيال ،وهذا ما استبعدته اللسانيات الكلية بالذات وهو مصدر المأزق -بتعبير علي حرب - أي كوننا لا نملك معايير موضوعية ثابتة وحاسمة أو نهائية تتيح لنا معرفة العالم على حقيقته لأن الحقيقة لا تنفصل عن لغتها ومراجعها أو عن مؤسساتها أو عن قواها و أدواتها فضلا عن أرضها مما يجعل معرفتنا بالواقع مرهونة بظروفنا الخاصة، ووضعياتها النسبية بمعاييرنا وأدواتنا النسبية وكلها وقائع محايثة تناساها تشومسكي وسواه من دعاة المعرفة الموضوعية والحقيقة اليقينية[31].

3. ثنائية البنية الكلامية والقولية

إن الهدف من النظر في بنية اللغة هو الوصول إلى فهم للعالم الخارجي فبهذا التسليم - بنية اللغة تعكس نظام الكون- يُسَلّمُ باتخاذ اللغة وسيلة لتحليل بنية الواقع، لتقوم للنحو العلمي والنموذج الاستكشافي فيما بعد مهمة الكشف عن المبادئ التي بواسطتها يرتبط اللفظ بوصفه رمزا بالذهن البشري من جهة وبالشيء الذي يدل عليه من جهة أخرى، يقول الغزالي: «إن الشيء له في الوجود أربع مراتب، الأولى حقيقته في نفسه، الثانية ثبوت مثال حقيقته في الذهن وهو الذي يُعَبَّرُ عنه بالعلم، الثالثة تأليف صوت بحروف تدل عليه، وهو العبارة الدالة على المثال الذي في النفس، الرابعة تأليف رقوم تُدرك بحاسة البصر دالة على اللفظ وهو الكتابة، فالكتابة تبع للفظ إذ تدل عليه، واللفظ تبع للعلم إذ يدل عليه، والعلم تبع للمعلوم إذ يطابقه ويوافقه، وهذه الأربعة متطابقة متوازنة إلا أن الأولين وجوديان حقيقيان لا يختلفان في الأعصار والأمم، والآخرين وهما اللفظ والكتابة يختلفان في الأعصار والأمم لأنهما موضوعان بالاختيار»[32]، والملاحظ على نص الغزالي أن الثابت في أذهان البشر بعيدا عن لغاتهم الخاصة يشمل ماكان في المرتبة الأولى أي حقيقة الشيء في ذاته، وما استقر في المرتبة

الثانية بمعنى «ثبوت مثال حقيقته في الذهن»، أي المعاني المفردة التي تنعكس من حقيقة الشيء المادية مع علاقات التأليف بينها، فمثلا حقيقة القلم المادية مشترك عام بين كل لغات البشر وذلك المثال في الذهن كلي هو الآخر.

وقد اصطلح المناطقة أثناء وصفهم للقضية اللغوية مصطلح "البنية الكلامية" وهي التي تقتصر على المعنى المجرد من اللفظ وهو ما يعرف بالدلالة البحتة أما وجود الشيء في المرتبتين الأخيرتين فيخرج عن الثبات إلى التغير عبر الأعصار والأمصار كونها تحقق فعلي للألفاظ، فاستحق لذلك أن يوصف بالبنية القولية. ولقد فصل المناطقة والفلاسفة بين البنيتين "البنية القولية" و"البنية الكلامية" ليهتموا بالكلامية لكونها عامة وكلية.

ولم يحِد أحد من الفلاسفة عن هذا التصور إذ عبَّر الغزالي عن تصور النظار للنطق[33]، والكلام والقول، ليجمل الرأي في أن النطق مستوى كلي، فكل البشر يشتركون في هذه الخاصية، فيكون بالضرورة اشتراكهم دليلا على خضوعهم لقوة واحدة يفرضها العالم الخارجي فيَمثُل "النطق"كليا في حين يختص "القول" بنمط معين من اللغات.

أ. كلية البنية الكلامية ونمطية البنية السطحية:

أعاد الأوراغي صياغة الكلام المنطقي بأدوات لسانية مستعملا اللغة اللسانية في تفسيره لبنية اللغة في إطار نظرية اللسانيات النسبية، فبنية اللغة متقوِّمة أساسا من بنيتين أساسيتين بمعنى «بنية عميقة أو كلامية يعبر عنها ببنية سطحية أو قولية، الأولى كلية أساس للثانية المتشكلة من خصائص كلية، ونمطية وخصوصية، أما السحيقة فهي بنية قَبْلُغَوية بوصفها تمثيلا للبحث المجرد من الرمز ومع ذلك فهي أساس البنية الكلامية التي تعتبر بدورها أساسا للبنية القولية»[34].

فما يُميزُ البنية السحيقة أنها ذات خصائص كلية ثابتة، في حين أن البنية السطحية هي ما تحمل أثر الأولى وزيادة، أي أنها انعكاس للثابت الداخلي من جهة، وتأثر بوسائط خارجية وضعية من جهة أخرى، لذلك كان موضوع البحث في النظرية اللسانية النسبية البنية "القولية" و "الكلامية" فكان المنهج قائما على «رواسم كلية تربط بين الخصائص البنيوية الكلية والأصول الدلالية والتداولية، رواسم عامة تعلق خصائص بنيوية نمطية بوسائط نمطية، رواسم خاصة، تربط الخصائص الفارقة بالوسائط الخصوصية»[35]، وهذه الرواسم ما هي إلا استحداثات نظرية لتفسير طبيعة العلاقة بين العمق السحيق الكلي وبين السطحي النسبي النمطي.

وإذا صح أن «القول النمطي» يشكل بموجب طبيعته المادية صورة مطابقة لما قبله، لاح فراغ في النسق المفهومي للنظرية وفي لغتها الاصطلاحية، لأن السابق الكلي لا يكون شرطا مباشرا على لاحق نمطي الذي تجبره طبيعته المادية على أن يكون مطابقا لأصله ولسد هذا الفراغ تعين إدخال مصطلح «الكلام» بوصفه أصلا للقول وشرطا مباشرا لتكونه[36]، فظهر أن «الكلام» بمثابة حلقة وصل لأنه يجمع في آن واحد بين كونه «لاحقا وأصلا» فهو أصل لصورته، لأن النطق ليس سوى جزءا من الشرط التام جزؤه الثاني "الوسائط" ومن مجموع ذلك النطق الكلي والوسيط الاختياري يتشكل أصل ضروري لتكون كلام نمطي يعد بدوره أصلا

لصورة "القول النمطي" لأن المطابق النمطي يجب أن يكون نمطيا مثله[37]، وعليه يتعين على ثنائية الكلام/القول أن تمتع بخاصية التوازي في كل اللغات بمعنى أن بنية القول تتشكل ببنية الكلام، وبما أن الكلام يصدق على المقتطع من الدلالة البحتة (النطق) وجب أن يكون واحدا في كل اللغات وبخلافه (القول) الذي يختلف في حدود الإمكان من لغة إلى أخرى بسبب خضوعه لمبدأ الوضع بالاختيار.

تبين أن العالم الخارجي بحسب أشراط النظرية النسبية أصل فاعل في تكون المعرفة، فالسؤال الذي ينبغي الإجابة عنه هو أي علاقة قائمة بين العالم الخارجي وبين ما في الدماغ البشري من قوى نفسية داخلية أهي علاقة "تعلق" أم "تضايف"، وتبعا للتطور المتكون في نظرية اللسانيات النسبية عن ذات القوى النفسية، فإن العلاقة الممكن قيامها بينها وبين العالم الخارجي من صنف التضايف لا التعلق؛ أي أنها تقوم بين شيئين يصح وجود كل منهما مع عدم الآخر لكن كل واحد منهما يكون سببا في إضافة صفة إلى الأخر، إذ كل واحد من المتضايفين محتاج لا في ذاته بل في صفته تلك إلى الأخر بسبب العالم الخارجي يتعرف الإنسان على ذاته وبالتالي لا يستقيم تصور لبنية اللغة إلا بعلاقة بين المعاني في الذهن والحقائق الثابتة في العالم خارجه[38].

ب . موقعية اللسان بين البنيتين اللغوية والوجودية:

كما أكد الأوراغي على أن اللغة لا تعد انعكاسا مباشرا للواقع لأن هذا الانعكاس يؤدي بالضرورة إلى بنية لغوية موحدة بين اللغات وهو ما يرفضه الواقع بشدة، لذلك استحدث مصطلح "اللسان" ليجعله وسطا بين بنيتين لغوية ووجودية يقول: «التغاير اللغوي ضرورة عقلية لأن بنية اللغة لا تعكس مباشرة بنية وجودية، إذ يقوم بين البنيتين اللسان، بوصفه جملة محصورة من الإمكانات المتقابلة الموزعة على مختلف المستويات اللغوية، وبعدها تأتي الوسائط اللغوية بين بنية وجودية كانت ذهنية أو كونية، وبين النسق الرمزي يمنع اللغة أن تعكس بنيتها بكيفية مباشرة بنية غيرها الواقع خارجها»[39].

فعندما يعرف ابن جني (392هـ) اللغة على أنها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[40] فإنه يدرك جيدا البون الشاسع بين آلية النطق كمستوى كلي وآلية القول كمستوى نمطي، فالرموز الصوتية ماهي إلا انعكاس لبيئة لغوية عبر عنها بقوله «كل قوم» دلالة على اختصاص كل قوم بنمط معين من التصويت محكوم بعالم خارجي «وهذا شأن الفاعلية البشرية تحويل المعطيات الطبيعية إلى دراسات ذاتية وخبرات وجودية هي لغات رمزية واصطلاحات نظرية أو مخلوقات مفهوميه يؤلف بها الإنسان عالمه ويضع حياته بقدر ما يتحاور شرطه ويغير واقعه نعم نحن كائنات طبيعية ولكن علاقتنا بطبيعتنا ذات طابع ثقافي»[41].

ومما هو جدير بالذكر أن ما يفضي إليه ابن جني يشد من أزر الأطروحة النسبية التي تفسر تحول اللهجات إلى لغة واحدة أو العكس من ذلك، على خلاف الأطروحة الكلية، فالعلاقة بين الدال وصورته الذهنية علاقة غير لزومية لذلك كان "القول" مستوى نمطيا، فالإنسان بضيعة من الكون الوجودي وجزء منه وتصوره له ما هو إلا انعكاس للخارج عن ذاته.

أما المستوى الكلي فيظهر فيما يشترك فيه كل البشر ممثلا في التركيب الفيزيولوجي، فإضافة إلى القدرة على التصويت، القدرة على الإحساس ذلك أنه واحد عند الناس جميعا وهو ما يسميه ابن جني ب "وحدة الإحساس" وهي «عملية نفسية تنتج عن انعكاس خصائص الأشياء الخارجية والداخلية للفرد، والتي تنتج عن تأثره ببعض المؤثرات المادية في أعضاء الحواس والانطباع الحاصل لإحدى حواسنا نتيجة مثير» [42]، في حين أن الإدراك «عملية تأويل الإحساسات تأويلا يزودنا بمعلومات عما في عالمنا الخارجي من أشياء أو هو العملية التي تتم بها معرفتنا لما حولنا من أشياء عن طريق الحواس» [43] بإعادة تصنيف وتنظيم العلاقات في تأويل وترجمة ما ندركه، إذ لا تجمع كما لا تشترك جماعة مع جماعة أخرى في إدراكها للأشياء، وهذه الرؤية تتفق مع كثير من اللسانيين الذين يرون أن اللغة تمارس نوع من الديكتاتورية على الإدراك الحسي وأن البنية اللغوية تشكل في الفرد من محيطه الذي ينظم له تصوره للعالم.

رابعا: خاتمة

- اللغة مرآة يعكس نسقها التركيب البنيوي لمعالقها الواقع خارجها؛ ومعالقها إما بنية العالم عند الفلاسفة في إنجلترا حديثا، وإما التركيب البنيوي للدماغ البشري عند تشومسكي حاليا.

-إن المشكلة اللغوية قد وجدت طريقها للحل عند أصحاب المنطق العقلي في المتكلم المثالي أي الإنسان المسؤول عن أدائها وفعلها، وهو ما دفع تشومسكي للاهتمام بدور العقل مثنيا صور رأي ديكارت (أنا أفكر أنا كائن) أنا موجود.

-موضوع الوصف في تقدير الأوراغي واقعي، تسعى نظرية المقام إلى الكشف عن خصائصه الذاتية فوظيفة النظرية اقتناص المعرفة فإذا جاءت تنبؤاتها موافقة تمام الموافقة للصفات الخارجية التي تشكل ذات الموضوع الموجود في العالم الخارجي فقد استجابت النظرية لقيد الموافقة الخارجية وكانت نظرية ناجحة في حين أن موضوع الوصف لدى أصحاب النظر العقلي وهمي يبنى بناء بالنظرية وليس له وجود مستقل عنها وإنما يقوم بها إذن هو يتشكل بنسق نظرية.

-لقد كان منطلق الأوراغي تراثيا إذ أسس للنظرية اللسانية النسبية بناء على جدلية الفكر واللغة عند العرب القدامى فلاسفة كانوا أم لغويين أم مناطقه فالرؤية المفهومية للغة قد أسست النظرية اللسانية ابستمولوجيا وأنطولوجيا.

-قدم الفلاسفة العرب لمفهوم اللغة في علاقتها بالوجود من موقف ابستمولوجي، إذ ينطلقون من تصور شامل للوجود فاللغة لدى الإنسان اقتضاء وجودي وبهذا التصور يكون الإنسان قد وهب اللغة والفكر معا لا أسبقية لأحدهما على الآخر، فهي قوة ذهنية داخلية ملهمة.

-يرى محمد الأوراغي عن أن تعذر التمييز داخل القدرة اللغوية بين المعارف الطبيعية والمعارف الكسبية انعكس بشكل واضح عن طريقة الاستدلال التي انتهجها صاحب النحو الكلي لإثبات طبيعة المعارف المنسوجة

"خلقه" في خلايا الذهن البشري، وليس من المبالغة القول بأن تشومسكي قد فقد كل وسائل الاستدلال لإثبات طبيعة المعارف اللسانية واختار أسلوب الإقناع لتعميم مبادئ النحو الكلي.

هوامش

[1]Carrol, j : (1956) language, Tought and reality maruink oplerphilosophy and phenomemological research, p 23.

نقلا عن أحمد إبراهيم محمد، النظرية اللغوية النسبية بين التراث والدرس اللساني الحديث، دراسة تأصيلية مقارنة، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية، مصر، مج 1، ع 38، ص443.

[2]- ينظر محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية ونحو العربية، أعمال الندوة الدولية حول اللغة العربية والنظريات اللسانية: الحصيلة والأفاق، 2007م، ص 124 – 125.

[3]- ينظر، كارل بوبر، أسطورة الإطار في دفاع العلم والعقلانية، تر: يمنى طريف الخولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001م، ص 46 - 47 .

[4]- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986م، ص 113.

[5]- ينظر، محيي الدين محسب، انفتاح النسق اللساني دراسة في التداخل الاختصاصي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2008 م، ص74.

[6]- مصطفى غلفان، حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010م، ص 05- 06.

[7]- علي حرب، أصنام النظرية و أطياف الحرية (نقد بورديووتشومسكي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001م، ص 72.

[8]- ينظر، محمد الطيب بنكيران، الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية، عالم الفكر، الكويت، مج 25، ع3،1997م، ص 46-47.

[9]- ينظر، محمد محمد العمري، الأسس الابستمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2012م، ص174.

[10]- ينظر، عبد الغاني قبايلي، أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية التفسيرية عينة، رسالة دكتوراه، إشراف: عز الدين صحراوي،جامعة باتنة1، الجزائر، كلية الأدب العربي والفنون، 2017م، ص 156 .

[11]- علي حرب، أصنام النظرية و أطياف الحرية (نقدبورديو وتشومسكي)، ص 73.

[12]- المرجع نفسه، ص74 .

[13]- ينظر، كارل بوبر، أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية، تر: يمنى طريف الخولي، ص53.

[14]- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1985م، ص234.

[15]- محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان، الرباط، 2001م، ص36.

[16]- محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، ص36.

[17] - ينظر، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الرياض، د ط، د ت، ج4، ص260- 265، وينظر، الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن الكريم ، تح: محمد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، ط5، 2007م، ص 801.

[18] - ينظر، محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط2، 2013 م ج 2، ص 17، 20، 21.

[19] - ينظر، محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، دار الأمان، الرباط،ط1، ص194.

[20] - المرجع نفسه، ص 194.

[21] -المرجع نفسه، ص 195.

[22] - ينظر، محيي الدين محتسب، انفتاح النسق اللساني، دراسة في التداخل الاختصاصي، ص72- 73.

[23] - محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، ص68.

[24] - ينظر، محمد محمد العمري، الأسس الابستمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، ص225.

[25] - ينظر، علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقد بورديو وتشومسكي)، ص76.

[26] - محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، ص 65.

[27] - ينظر، محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية، دواعي النشأة، ص177.

[28] - V = Jeam Du Bois. Dictionnaire de linguistique. F rame larovsse. Bordas. 2002. Pp53.301.320

[29] - محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، ص 50.

[30] - ينظر المرجع نفسه، ص 52.

[31] - ينظر علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية، ص88

[32] - أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، اعتنى به، عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م ص36.

[33] - "النطق" ليس هو صورة العبارة ولا نفس الإشارة، ولا شكل الحروف، ولا تقطيع الأصوات، بل النطق هو تمكُّن النفس الإنسانية من العبارة عن الصورة المجردة المتقررة في علمه، المفردة في عقله، المتبرئة عن الأشكال المعراة عن الأجسام، وهو أصل الكلام والقول، لأن كلامنا أثر نطقنا قبل إلقاء القول عليه والكلام يحتاج إلى عبارة ونظم ولفظ ليصير قولا، ولا يظهر القول إلا بواسطة الصوت، فالقول إذا صدر عن لسان المتكلم وانتظمت عبارته، يحمله الهواء ويبلغ المعاني الملبوسة المركبة المرتبة إلى آذان المستمعين. ينظر، أبو حامد الغزالي، المعارف العقلية،تح: عبد الكريم العثمان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1963م، ص 30، 69.

[34] -محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية، ج2، ص44-45.

[35] - محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية، ج2، ص 46.

[36] - ينظر، محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية، دواعي النشأة، ص 197.198.

[37] - المرجع نفسه، ص199.

[38] - محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، ص 283،284.

[39] - المرجع نفسه، ص392.

[40] - ابن جني، الخصائص، تح: محمد على النجار، مصر، دار الكتب المصرية، ط2، 1955م ج1، ص33.
[41] - علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقد بورديو وتشومسكي)، ص79.
[42] - أحمد إبراهيم محمد، النظرية اللغوية النسبية بين التراث والدرس اللساني الحديث، دراسة تأصيلية مقارنة، مجلة دار المنظومة، جامعة الأزهر، مصر، مج01، ع38 ص471.
[43] - المرجع نفسه، ص472.

سادسا: قائمة المصادر والمراجع

أ. الكتب العربية:

1. ابن جني، الخصائص، تح، محمد علي نجار، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1955م، ج1.
2. جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1985م.
3. أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: عبدا لله محمد عمر. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1971م،
4. أبو حامد الغزالي، المعارف العقلية، تح: عبد الكريم العثماني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1963م.
5. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الرياض، دط، دت.
6. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن الكريم، تح: محمد الكيلاني، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط5، 2007م.
7. عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1986م.
8. علي حرب، أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقدبورديو وتشوميسكي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001م.
9. كارل بوبر، أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية، تر: يمنى طريف الخولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001م.
10. محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2001م، ج1.
11. محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية والأنحاء النمطية، دار الأمان، الرباط، المغرب،ط2، 2013م، ج2.
12. محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2010م.
13. محمد محمد العمري، الأسس الابستمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2012م.
14. محيي الدين محسب، انفتاح النسق اللساني، دراسة في التداخل الاختصاصي، دار الكتب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان، 2008م.
15. مصطفى غلفان، وآخرون، اللسانيات التوليدية من النموذج قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م.

ب. المجلات

1. أحمد إبراهيم محمد، النظرية اللغوية النسبية بين التراث والدرس اللساني، دراسة تأصيلية مقارنة مجلة دار المنظومة، جامعة الأزهر، مصر، مج01، ع 38.

2. محمد الأوراغي، نظرية اللسانيات النسبية ونحو العربية، أعمال الندوة الدولية حول اللغة العربية والنظريات اللسانية: الحصيلة والآفاق 2007م.

3. محمد الطيب بنكيران، الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية، عالم الفكر، ع3، مج25، الكويت، 1997م.

ج. الكتب أجنبية

1. V :jean DW bios, dictionnaire de linguistique, France, Larousse bordas, 2002, pp 53-301-320.

2. Corral, j :(1956) langage, thought and reality, maruink, opter philosophie and phénomène logiciel reasearch p23.

د. الرسائل الجامعية:

1. قبايلي عبد الغاني، أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية، التفسيرية عينة، رسالة دكتوراه، إشراف: عز الدين صحراوي، جامعة باتنة1، الجزائر، كلية اللغة والأدبا لعربي والفنون 2017م.